محمد توفيق السهلي

أحلام محرّمة

قصص قصيرة جداً

هذا الكتاب

كالثمر المقطوف من أشجاره الوارفة ...
هذه اللقطات المنتزعة من واقع قاسٍ أليم ...

إنها تجارب مرحلة مُرّة طويلة ...
يلخصها الكاتب لنا بكلمات مليئة.. قليلة ...

ببراعة فائقة ، وبأسلوب فنيّ أنيق ،
وبلغة متينة سلسة ...
يكثف أحداث الحياة في قصص أقصر
من قصيرة ... إنما متقنة السبك ،
متكاملة ... لها بداية وعقدة ونهاية ...
وتحمل في مضمونها الجارح .. مغزاها ...

قصص قصيرة ؟
بل هي صرخات من الصميم ... يصدمنا صداها ...

بل هي شهقات وجع ...
تحكي كلّ واحدة منها تاريخا ...

مهمٌ هذا الكتاب الذي يضمّ في ثناياه
واقعاً نعيشه ...
وجميلة هذه الأفكار العميقة الهادفة ...
هذه اللقطات الإنسانية التي نظمها الأديب
محمد توفيق السهلي
مقطوعات صغيرة ... قد نعتبرها شعراً ...
وقد نظنها عبراً ...
وفي أيامنا هذه ... قد نسميها قصصاً قصيرة
قصيرة ... قصيرة ...

كوليت خوري

محمد توفيق السهلي

أحلام محرّمة

قصص قصيرة جداً

الإهـــــداء

إلـى الشـعب العربـــي الفلسطيني

تصميم الغلاف للفنان فتحي صالح

الطبعة الأولى ـ دمشق ١٩٩٨م

عدد النسخ : ١٠٠٠ نسخة

القصة ...

والقصة القصيرة جداً

بقلم: طلعت سقيرق

تقف القصة القصيرة جداً في العمق تماماً من القصّ والشعر معاً، وفي العمق تماماً من الاختزال كاملاً والاتساع معنىً معاً، وفي العمق تماماً من التخصيص والتعميم معاً أيضاً. وإن كان هذا الفن يبدو جديداً في التفات الكتاب والنقاد له حديثاً، فإنه دون شك قد أخذ من الزمن مايكفي ليكون ذا حضور وتأثير. ويبقى الأمر جميلاً، في أنّ كثرة من الكتاب قد أخذوا في السنوات القريبة، يكتبون القصة القصيرة جداً، ويصدرون مجموعات في هذا المجال، ويصرّون على إعطاء هذا الفن جزءاً كبيراً من الاهتمام.

لاأريد هنا الحديث عن هذا الفن بشكل عام، بل أريد الدخول في مساحة خاصة من هذا الفن، تتعلق بمجموعة «أحلام محرّمة» للكاتب محمد توفيق السهلي، ومن خلال ذلك أجدني منساقاً للحديث عن خصوصية القصة القصيرة جداً عند هذا القاص تحديداً، إذ لابدّ أن يلحظ قارئ القصص وجود ملامح لاتشبه ملامح القصة القصيرة جداً عند أي كاتب آخر. فالقاص محمد توفيق السهلي يشكل بؤرة ضوء

خاصة بقصته القصيرة جداً، دون سواها، من حيث الانغماس في أسلوبية تشرب كثيراً من نبع التراث الشعبي وتكاد تأخذ لبوسه، مما يشكل جملة ذات وقع جميل إلى أبعد حد. أما في التركيبة الفنية، فالكاتب لايبتعد عن خصوصية القصة القصيرة جداً في الاختزال والتكثيف والايحاء والسرعة والومض وما إلى ذاك. وهو مجيد في إعطاء هذا الفن حقه من العناية. ويقيني أنه واحدٌ من كتاب القصة القصيرة جداً القادرين على إعطائها الكثير من التميز والجمال والتحليق والألق.

أحبّ أن أشير هنا، وقبل أن يأخذ القارئ في مداخلة ومعايشة ستة وثمانين نصاً، إلى أنّ القاص والباحث محمد توفيق السهلي، كان قد بدأ في كتابة القصة القصيرة جداً منذ سنوات طويلة، ونشرت بعض نصوصه في الصحافة منذ العام ١٩٧٩. أي أنه واحد من الذين وضعوا وشكلوا بدايات هذا الفن الجميل. ومن خلال مراجعتي لنصوصه التي نشرت في ذلك الوقت، أيقنتُ أنّ الكاتب كان يملك تميزه في فن القصة القصيرة جداً، منذ ذلك الحين، وإن كنا نلحظ تطوراً لاينكر في نصوصه الجديدة، خاصة في التكثيف والضغط والتركيز..

أيضاً أحبّ أن أشير هنا إلى أنّ الكاتب مسكون بهاجس البحث في موضوعة التراث الشعبي الفلسطيني، وذاهب إلى حدّ الاستغراق في العمل على بناء موسوعة

تضمّ كل جزئيات هذا التراث. وذاك قد أفاد القصة القصيرة جداً في عودتها إلى نبع الأصالة والجمال، لكنه أيضاً حرمنا من تواصل الكاتب مع نص القصة القصيرة جداً باستمرار، وظنّي أنّ هذه النصوص أقرب إلى العودة بكلّ الحنين إلى هذا الفن الجميل، وكأنّ الكاتب يجد جزءاً من الروح والنفس والعمر في مداخلة القصة القصيرة جداً. وأتمنى أن يكون هذا الحنين دافعاً لإعطاء هذا الفن وقتاً أكبر من الكاتب حتى نستمتع بمثل هذه النصوص الجميلة..

وبعد.. كنت أريد أن تكون مقدمتي هذه قصيرة جداً، فما استطعت إلا الانسياق مع قول ماقلت بعد معايشة الجمالية العالية في النصوص. وللقارئ أن يداخل ستة وثمانين نصاً تعبر خير تعبير عن فن القصة القصيرة جداً، هذا الفن الذي أجزم أن محمد توفيق السهلي واحد من كتابه المبدعين بحق.

دمشق ١٢/٢/١٩٩٨

طلعت سقيرق

دستور من خاطركم

كيفما سار يرى وجوههم.. إنهم يلاجقونه في كل مكان.. وعند النوم يبرزون له فيفسدون عليه أحلامه.. تذكّر أنه كان قد وقَع مرةً عند عتبة الدار، ولاريب أن «أهل الأرض» هم الذين يلاحقونه.. وعند العتبة، سكبَ بعضَ الماء البارد، ثم قال: دستور من خاطركم، فأطلّت تلك الوجوه من جديد.



السندان

راحَ القَدّوم يدقُّ الرؤوس من حوله بلا رحمة فيهرسها.. أطلّت من بين الرؤوس رأسٌ كبيرة.. فصار القدّومُ سنداناً.



الكوز والجرّة

تَـفَـنَّـنوا في تعذيبه، ولبثَ في السجن سنين.. أخلوا سبيله لعدم ثبوت الأدلة.. ودَقَّ الكوز بالجرّة.. أعادوه ثانيةً، حيث وردتْهم معلومـات تفيد أنـه ربمـا كـان قريبـاً مـن سدّ مأرب، قبل دقائق من انهيار السدّ.



أبو دعيبس

جمعتْ بينهمـا الظـروف.. أبـو إبراهيـم كـان يكـره الأرضَ التي يدعسها أبو دعيبس، فلقـد أذاقـه مُـرَّ العـذاب.. طقّت مرارته، فلقي وجهَ ربه.. تلقَّتْهُ ملائكة الرحمن على باب الجنة بالترحاب.. لكـن الحـزن لـم يفـارق أبـا إبراهيم، سيق أبو دعيبس إلى جهنـم.. عندئذٍ أدركَ أبو إبراهيم أنـه يجلس على أريكةٍ في الجنة.

القطنُ والعلّيق

ديار القبيلـة منيعـة الجـانب محميّـة.. إحـدى عشـائر القبيلـة فقدَت حقَّهـا فـي الديـار.. تشـتَّتَ أهلهـا فـي الجهـات الأربع.. حَقُّ العشيرة صـار قطنـاً ناعمـاً.. طيَّرَتْـهُ الريـاح، فعلِقت ذرّاتُـه في الأشواك وفي كل نباتات العُلّيق..



كَساد

فاضَ صاغُ القبيلة بـالكلام.. الكـلام الفـائض عَلَّبـوه.. تكوَّمـت علـب الكـلام فـي مسـتودعات القبيلـة.. أعلنـوا عـن نيّتهم بتصديرهـا.. لكنهـم لـم يـبرموا عقـداً واحـداً.. وصـار كلام القبيلة كاسداً.

الظَّهْرُ

ضربوه على بطنه فقال: آهِ ياظَهْري.. لم يستجب له أحد.. وبعد حينٍ أدركَ أن ظهرَه قد انكسر.



المسبَحَة

جمعتْهم مَودَّةٌ عارمة.. كلٌّ يخاف على الآخر من نسمةٍ إذا مَرَقَتْ.. يداريه كما لو كان عيناً بها رمدٌ.

فجأةً؛ انقطعَ الخيط، فتطايرت حبّات المسبحة في كل اتجاه.



الخازوق

الخازوق يتقدم سريعاً.. صرخات الألم تزداد حدةً، وقهقهاتٌ من مكان قريب تتفجَّر.. تختلط الصرخات بالقهقهات.. الخازوق لايتوقف.

توقفت الصرخات، وتوقفت معها آخر أنفاسه.. واستمرت القهقهات تشفيّاً بموت من نَشَر بينهم صناعة الخوازيق.



الجدار

الجدار شاهق.. عَصِيٌّ على الارتقاء.. صَمَدَ الدهرَ أمام الغزاة.. مضت السنون.. الجدار الشاهق لم يعد شاهقاً.. انحنى ظهرُه وكاد يلامس الأرض، فقفزت من فوقه الكلاب.



عُبوس

يقطب جبينَه.. لايفارقُ العبوسُ خلقتَه الناشفة.. لايضحك حتى للرغيف الساخن. أخيراً شاهدَ البعضُ بسمة تومِضُ على شفتيه.. فصار الخبزُ رخيصاً.



نُباح

ربا الجرو الصغير في أحضانها.. علَّمَتْهُ القطط كيف يموء.. ومرت من أمام الدار مجموعة من الكلاب.. لَحِقَ بها الجرو، فملأ نباحُه الساحة.

❁ ❁ ❁ ❁

المسلّة

تحدثوا في حضرته عن الخصال المشينة.. تَمَلْمَلَ واعتراهُ انفعال شديد.. وكانت في جنبه مسلة، فانغرسَت في خاصرته.



الدّيك

يصيح الديك ويطلع الفجر.. ظَنَّ البعضُ أن الفجرَ لايطلع إلاّ بصياحه. مات الديك.. لكنَّ الفجر ظلَّ يبزغ كل يوم.



المخْرز

يجول المخرز ويصول.. كثيرون وقفوا في وجهه.. الحربُ سجال.. كثُرَ الضحايا والسبايا.. وشوهد الكفُّ يلاطِمُ المخرزَ ويدميه.



الحيّة

جلس الجميع فوق كومه التبن.. اطمأنت نفوسهم.. أحسّوا لينَ العيش وطراوتَه.. ومن كومة التبن انطلقتْ حيةٌ ملساء.



رمضان كريم

لايعرف الصومَ في رمضان منذ ولدته أمُّه. حلَّ شهر الصيام هذا العام.. أعلنَ أنه صائم، فأفطروا كلهم.



القطّ

حَضَرَت جموع الفئران.. كلٌّ يرتدي أجملَ ماعنده.. جاؤوا يودّعونه؛ فهو ذاهب لأداء فريضة الحج.. عاد من الحج.. تحلّقوا حوله يهنئونه، فصار القطُّ سميناً.



طعام الكلاب

استخدموه أعواماً طوالاً.. حملوا عليه أثقالهم.. نقلوا فوق ظهره الحجارةَ والصخور.. امتطوا ظهره في ترحالهم.

كبر الحمار.. نحل جسمه.. صار جِلْداً على عَظْم.. تثاقلتْ مشْيَتُه، فصار طعاماً للكلاب.



القيود

نصف قرنٍ من الزمان، والقيود والسلاسل تطوّق السواعد.. الصدأ يعلو سلاسل الفولاذ.. القيود تهترئ.. خالطَ الحديدُ لحمَ الجسد.. أفرزت الدماء مادةً صهرت الفولاذ، فتكسَّرت القيود.



النبيذ

يكدّ ويتعب طوال اليوم.. وينام أطفاله على لحم بطونهم.. يستيقظون.. لقمتهم مغمّسة بالدم.. يصير عَرَقُهم خمرةً للآخرين، ودماؤهم نبيذاً من النوع الرخيص.



ثقيل

يتطاول على كل من حوله.. ليس عنده كبير ولا حتى الجَمَل.. في محاولة لتحليل دمه؛ وَجَدوه متخثرا في كل أنحاء الجسد، لكنّه يجري في العروق بتثاقُل.



ماذا يهمّ؟

أطفؤوا الشمسَ، وغابَ القمر.. لكنه لم يكترث.. ثم مضى يتحسسُ طريقَه، يسبقه عكازُه.



الحنّاء

ربّاهُ صغيراً.. كان يقطع اللقمة عن نفسه ويطعمه.. كبر وصار شاباً، فأنكرَ الحناء وأثرَها.



الجوز الفارغ

كلما سمع حكاية تعجبه، ادعى أبو علي الأطرم أنه بطلها، فهو يحب أن يطعم نفسه جوزاً فارغاً..

اغتيل أحد جنود الاحتلال.. ولم يهتد المحتلون إلى معرفة الفاعل.. وسجلوا القضية ضد مجهول، دارتِ الأيام.. كان أبو علي الأطرم يتحدث إلى كل من يصادفه، بأن شرطة العدو تتهمه ظلماً باغتيال الجندي.. تناهت أخبار الإشاعة إلى مسامع العسس.. فداهموا البيتَ واعتقلوه.



كَفٌّ أبيض

عرفه الناس في كل أنحاء البلد، بأنه لم يسرق ولم يرتش طوال حياته.. أسموه «صاحب الكف الأبيض».

دفعه بعضهم صوب المستنقع.. قاوم بكل قواه.. لم يسقط، لكن أحد كَفّـَيْه انزلق في ماء المستنقع الآسن.. نظر إلى كفّه الملوث، ثم بترَه.. لكن بقي له كفٌّ آخر أبيض.



الكلمة

كان نافذ القول.. كل أفراد القبيلة ينفذون مايقول.. كلمته لم تنزل الأرضَ مرَّةً.. هي تخترق الآذانَ وتستقر في القلوب. جار الزمان، فسقطت الكلمة.



العهد المطعون

كلمته ورأسه سيّان.. يَقطعُ العهدَ ويمضيه، وإن كلّفه العهد حياته. ومالَ الدهرُ، فصار قوله كبولِه.



اللسان

هَوَتْ عليه سيوفُهم، ونجا.. استخدموا كل مالديهم، فلم تصبْهُ منهم قَتَرَة.

أشرعوا ألسنتَهم فمات.



السِّرْوال

وقفَ بصلابة مفتعلة.. رفَض أن يذيِّل الورقة بتوقيعه.. صاح في وجه الرجل:

ـ هذا الطلب ليس نظامياً.

عادَ الرجلُ بعد دقائق، وفي يده مغلَف منتفخ.. سلَّمه للموظف الكبير، فسقَط سرواله.



اللصّ

بعد محاولات كثيرة، أقنعتُه بالذهاب.. وصفتُ له دارَها وعنوانَها.. أعطيتُه اسمها واسم أبيها.. رجوتُه أن يترفق في الحديث، كي لايرفضني أبوها.. وانتظرتُه ساعات فلم يرجع.. وعلمتُ في اليوم التالي أنه قد خطب لنفسه مَنْ أحِبّ.



تافِه

يكيلون له المديح بالصاع إذا حضر.. ويبالغون في إكرامه إذا حَلّ بينهم.

وقع يوماً في حفرةٍ.. تسابقوا لإنقاذه.. وفوجئ الجميع عندما رأوا أمامهم قفة وقد ملئت بالقمامة.



كان

قال لصديقه وهو يحاوره: «كان» فعل ماضٍ ناقص، وهذا الفعل يؤرّقني ويسبب لي مغصاً.. أحاول أن أخفف عن نفسي فأقول: وماذا يضيرنا، ألسنا ننتمي إلى هذا الفعل؟

قال الصديق: ويحك، أما علمتَ أن هذا الفعل يكون في بعض الحالات تاماً؟

الجليد

عافته النفوس.. يرمي بثقله على الآخرين.. «يتصاقع» عليهم.. نَظَرَ مرةً إلى صفحةِ ماء البخيرة.. فماجَ الماء وصار جليداً.



الرغيف

كادَ الجوعُ يفتك بـه.. لمحَ رغيفاً يركض.. وعلى نَفَسٍ واحد ركَضَ خلف الرَغيف.. زادت سرعة الرغيف.. تعثّر الرجل ووقع في حفرة.. تهشمت أضلاعه؛ وغاب الرغيف.



الغُرباء

وضَع فمه على ثدي أمه.. زاحَمَه أطفال كثيرون، وكانوا غرباء. وقبل أن يتذوَّق الصبي حليب أمه فطموه.. وعندما صار شاباً، طرَدَ الغرباءَ، وعاد يحبو نحو ثدي أمه.



على مضض

سبّوه وكالوا لـه الشتائم.. سلقوه بألسنتهم.. أطفؤوا بصرَه، ومارَدَّ عليهم بكلمة.

رأيته بالأمس.. كان الجرح في القلب، وفمه بالماء قد مُلِئ.



وجه خشبي

ماأكثر ماصفعوه على وجهه.. ولم تترك الصفعات أثراً.. صفحة الوجه ثابتة اللون، لاأثر فيها لانفعال أو إحساس.

اقتربَ منه أحدهم.. تحسَّسَ وجهَه، فأدركَ أنه قُدَّ من خشب.



الرأس

عند شاطئ النهر، عثر على سمكة كبيرة.. حملها وعاد إلى الدار فرحاً.. نظر إليها.. تفحَّصها.. وَجَدَ رأسها فاسداً.. فعرف أن السمكة يفسدُ كلُّها، إذا فَسَدَ منها الرأس.



رأس النبع

يجري الماءُ في النهر صافياً رقراقاً.. الحصى الفضّي يلمع من خلاله.. تكدَّر الماء، وحاروا في الأسباب، ثم عرفوا أن العكَر يأتي من رأس النبع.

حَظّ

اشترى دكاناً في رأس الحارة.. أنفق أموالاً طائلةً حتى صارت الدكان صالوناً للحلاقة.. انتظرَ شهوراً طويلة.. لم تكتحل عيناه برؤية زبونٍ واحد.

وفي يومٍ، تدفَّقَ على الصالون جَمْعٌ من الناس.. لكنّهم كانوا قُرْعاناً.



البَصّارة

كان يعرف أنه ذو حظ عاثر.. لكنه «بَيَّضَ الفال»، ورمت «البصّارةُ» حبّات الودع.. قالت: ستصبح عظيماً ذا شأن، وستكون في مأمن من جنود الاحتلال.. ولم تكدْ تلفظ كلماتها، حتى كانت دوريةٌ معاديةٌ تلتفُّ حولهما وتلقي بهما في إحدى عربات الجيب.



البصيرة

تنتشر الحفر في كل مكان.. أشعة الشمس تلفُّهم من كل حدب.. يسيرون بتثاقل.. يقع معظمهم في الحفر.

مَرَّ مِن أمامهم رجلٌ لم تَرَ النورَ عيناه، وتجاوزَ كُلَّ الحفرَ.



السِّـــر

كان يفتح محفظة النقود المهترئة، بحذْر بالغ.. يحرص أنْ لاتراه العيون وهو يفتحها.. كانت المحفظةُ في جيب قمبازه عندما غادَرْنا البلاد. صار همّي أن أعرف السر الذي تخبئه مِحفظة أبي.. وقبل أن أشارك في تشييعه إلى مثواه الأخير، فَتَحْتُ المحفظة، فوجدْتها خالية إلاّ من مفتاح علاه الصدأ.



بعد فوات الأوان

لاكت الألسن سمعته، وتقاذفتْه الأيدي والأرجل.. اتهمَتْهُ تلك الفتاة بأنها قد حملتْ منه سِفاحاً. وقبْل أنْ يغادر السجنَ بأيّام؛ اكتشفوا أنه كان عنّيناً!!



ساتالايت

راح يشن الهجوم على «الدش» وعلى من اخترعوه، وحلف الأيْمان المغلظة أن لايدخل «الدش» منزلَه.

اشترى جاره واحداً منها، فأمضى السهرةَ عنده.. وفي اليوم التالي، طلب إلى الجار بإلحاح أن يعطيه «خَطاً» وأن يبقى الأمرُ سراً بينهما.



السقوط

كأسُ الماء يستريح أمامه على الطاولة.. لم يكلفْ نفسَه أن يمدَّ يده إلى الكأس ليشرب.. نادى خادمَه.. ناوله إياه فشَرب.

ترجَّلَ عندما أنزلوه عن أعناقهم.. زَحَفَ على بطنه طويلاً.. ومات عطشاً قبل أن يَبْلُغَ حافة النهر.



عِفّة

خَرَج خيطٌ، ليدخل خيطٌ آخر.. الخيوط لم تتوقف، ولم يفلحوا في إحصائها. ومِن بعيدٍ أقبلتْ إبرةٌ تحفُّ بها الخيوط من كل لون، ثم صارت تتباهى بعفتها!!



الامتحان

طرَحوا عليه أسئلةً كثيرة.. لم يتلعثم.. أجاب عنها كلها دفعةً واحدةً.. وتقرَّر مصيرُه.. غَمَرَهُ الفَرح لأنه أيقنَ أن الملائكةَ لن يطرحوا عليه أسئلةً أمنيّة.



الرُّطَب

جلسَ يتفيأ ظلَّ نخلة.. داهَمه نفرٌ من الغزاة.. قاتلهم حتى استشهد.. دمُه غاصَ في مسامات التربة.. كبرت النخلة واستطالت، حتى عانقت السماء.. وصارت تؤتي أكلها في كل حين.. امتدت من الأرض ذراعٌ كبيرة.. هَزَّت جذع النخلة، فتساقط رطب جنيٌّ.. أكلوا وشبعوا.. فقَرَّت الأرضُ عيناً.



انتظار

انتفضَ أبو ذر الغفاري، تجوّل في الأزمة الموحشة.. أفزعتْه مشاهدُ الفقر المدقع، ومنظرُ الناس الجياع.. استلَّ سيفَه.. ركِب سيارَةَ أجرةٍ وأسرعَ نحو المتخمين، وعيناه تقدحان الشرر.. لكنه لم يرجع.



جُموح

دخل الحصانُ مضمارَ السباق.. تذكّر أنه لم يخسر أبداً من قبل.. تَلَفَّتَ حوله.. نظر إلى المتسابقين.. أيقن أنه سيكون الفائزَ الأول.. لكنه قرَّر الانسحاب، وغادَرَ المضمار، لأن معظم المتسابقين كانوا من فصيلة الحمير.

العَرْميط

عَمِلَ العرميط حَرّاثاً في القريـة.. سقفُ أحلامـه أن يمتلك محراثاً وزوجاً من الثيران.

توقف الثوران فجأةً.. السكَّةُ انغرستْ في الأرض.. حَثَّ الثوريْن بعصاه.. انطلقا بطيئين.. ظهر شـيءٌ مُكَوَّر.. حضر صاحبُ الأرض.. أخذ الكنزَ الـذي اقتلعتْـهُ سكة المحراث.. واستمرتْ أحلامُ العرميط.

غُربَـة

هناك في حضن الجبل، كان يعيشُ في مغـارة.. ينـام فيها ويصحو على أصوات الضباع وعواء الذئاب.

هَبّتْ ريحٌ مجنونة، فطـارَ إلـى بـلاد بعيـدة.. أقام فـي بيت فسيح.. الكل يسْعى لخدمتـه وإرضائـه.. يغفـو علـى أصواتِ موسيقى ناعمة، ويستيقظ على تغريد الطيور.. لكنه ظل يحلم بالمغارة.



مُقْعَدون

دَبَّت النخوةُ في رؤوسهم.. علَتْ أصواتُهم.. تحاوَروا.. هَدَّدوا وتَوَعَّدوا.. برقوا وأرْعدوا.. وتبيَّن أنهم مُقْعدون.



حَنين

سألتْ غيمة أختَها: مِنْ أينَ أقبلْتِ؟ قالت: كُنّا في سالف الأيام، عشيرة تعيش في مضاربها هانئة البال، إلى أن جاءها الغزو، فتبخرَتْ وصارت غيمة كما ترَيْن.

ـ وماذا ستفعلين الآن؟.. توقَّفَ تطوافُ الغيمة، ثم اتخذتْ لها مكاناً ثابتاً فوق مضارب العشيرة.



صيحة في واد

قالت نملة: ياأيها النمل إن القومَ سيمرّون من أمام مساكنكم، وأخافُ أنْ تسحقكم أقدامهم، فخُذوا حِذرَكُم، وأعِدّوا العدّة لهذا الحدث الجلل.. ضاع صوتها في الوادي، ولم يستجب لها أحد.

مَرَّ القومُ، فَسَحقوا المساكن، وتشتَّتَ النمل.



الجناحان

فقست البيضة.. خرَج زغلول الحمام هزيلاً.. سهرت أمه على تربيته، فنما واشتدَّ عوده.. حاولَ الطيران، فقصّوا جناحيه.



عدالة مهشّمة

بعد بحثٍ طويل، عثروا على السارق.. أقاموا له محاكمةً تاريخية، وبعد مداولة قصيرة؛ صدَر الحكم؛ أُلقي بصاحب الحق في غيابات السجن.. وصار السارقُ سجّاناً!



أحلام محرّمة

كالسّوار أحاطوا بالدّار.. صاحوا عليه من خلال مكبّرات الصوت؛ أخرُج؛ سَلّمْ نفسَك في الحال؛ البيت محاصَر، ولا أمل لك في النجاة.

خرَج من الدار رافعاً يديه فوق رأسه.. قادوه إلى عربةٍ مصفحة اختفت من الشارع بعد لحظات.

- ماهي تهمتي؟!

- ألا تعرف؟ وردتنا أنباء شبه مؤكدة، بأنهم شاهدوك متلبّساً في حالة من الحلم العميق.



المكحلة

المكحلة ملآنة.. صاحبتُها تتفقدها كل صباح.. استيقظتْ باكراً ذات صباح.. لم تعثر على مكحلتها في مكانها المعتاد؛ فعادَت تتلمَّسُ الطريق.



حرّية

أعلنوا موتَ النهار.. نَشَرَ الليلُ جناحيْن ثقيلين، وانتشرَت الخفافيش في الأزقة والحارات.. انتفضَ النهارُ، وأشرقَت الشمسُ ثانيةً.. فغابت كُلُّ الخفافيش.



الحَطَب

غرسوها بالأمس البعيد.. سقوها بالدم والدموع.. كبرت الشجرة واستطالت، وطرَحَت ثماراً شهية.

ترَكَها الأحفاد، فصارَت حطباً.



الكوشان

قَلبَ الدنيا.. بَحَثَ في كل الأرجاء.. فَتَّشَ الزوايا؛ الحيَّة منها والمَيّتة.. صار كالحية التي قُطِع ذيلها.. لكنه لم يعثر عليه.. وظَنَّ أن آخر خيوط الأمل قَدْ ضاعَ عندما ضاعَ الكوشان.



بحرُ يافا

لازَمَه المَـرض.. نَهَشَتْهُ العلـل.. كـابَدَ وصَبَـر.. كـادَ يفقد عقله. وصَفوا له ماء الحيـاة.. طـاف كـل البـلاد، بحثـاً عن دوائه.. أعلَموه أنهم شاهَدوا ماء الحياة، لكنّه بعيدٌ هنـاك في بحر يافا.



المخالب

حَـلَّـقَ النسرُ فـوق أعشـاش الغربـان.. تصـدّى لـه غرابٌ ووقَع الصدام فكانَ داميـاً.. الجولـة لـم تَطـلْ.. هـوى النسـرُ ميتـاً، وعـادَ الغـرابُ منتصـراً.. تجمعـتْ أسـرابُ الغربان حول حطام النسر، الذي كان بلا مخالب.



وضوء

مِنْ زمنٍ بعيد، لم تقطـعْ فـرْضَ صـلاةٍ.. غـابوا عنهـا من زمان.. رفضَت التَّيمُّـمَ.. عـادوا إليهـا فعـانقتْهُم.. نزَفـوا دماءً غزيرة، فتوضَّأت الأرضُ وصلّتْ للرجوع.



السّلم

جمعوا أخشـاباً كثيرة؛ تكفـي لبنـاء آلاف مثـل سـفينة نوح.. حيَّرَتْ الأخشابُ كلَّ مَن شاهَدها.

في نهاية المطاف، انكشف السرُّ وبـان، عندمـا شـوهِد سُلّم شاهق، ورأسُه في عين الشمس.



معلّبات

في إحدى المضارب، تَجمهَرَ الناسُ على باب خيمةٍ كبيرة.. اشتروا علباً نزلت إلى السوق مؤخراً.. فتَحوا العلب.. وَجَدوا في كل علبةٍ منها شهيداً..



أطفال النار

في ليلةٍ باردةٍ حالكة السواد.. لمَح في الظلام قبساً من نار.. فقال لأهله امكثوا.. ركَضَ صوبْ النار المشتعلة، وانضمَّ إلى أطفال الحجارة.



كفن

مزّق اللصوصُ عباءته.. عَرّوه من ثيابه.. وألقـوا بـه فـي الغابـة.. هاجمتْـه الوحـوش الكاسـرة.. أبنـاء عمومتـه يقيمون قرب الغابة.. صاح مستغيثاً، عَلَّ أحدهم يرفـو لـه العباءة الممزقة.. فهرَع إليه أبناء العمومة وكفّنوه!



زيت قرمزي

اجتمعوا.. ناقشوا.. بحثوا في أسباب استمرار انبعـاث النور مِن ذاك السّراج.. ومن فتحة السراج، رأوا زيتاً بلـون قرمزي.



القتلة

تعانَقوا جميعاً.. واشتغَل بوْس اللّحى.. الدم صار للرُكَب.. خَرَجَ من السّرْبِ وحلّق للبعيد، وأصرَّ على أن لايبوس ذقونَ مَن ذبَحوا أهله.



الزعتر المدمّى

من يوم يومها، وهي تتسلق الجبل الذي ينهض فوق القرية.. تجمَعُ بعضَ النباتات وتنزل بها إلى القرية عند المساء.

أصدر المحتلون أمراً يمنع جمع الزعتر البرّي.. صعدَت ذاك الصباح، لكنها لم ترجع في المساء.. وجَدوا جثتها عند السفح، وبالقرب منها كومة من نباتات الزعتر المدمى.



السّياج

هدَمت الثعالب سياجَ الحديقة.. جاست خلال الأزهار.. ماتت ورود كثيرة، وانقصفت نباتات الحبَق في عزّ الشباب. تصدّوا للثعالب بصدورٍ عارية.. سالت مِن الأجساد دماء غزيرة.. فسَمَقَ السياجُ مِنْ جديد.



فرحةٌ لم تتمّ

أحبَّها، وبادلتْهُ الحبَّ.. جمَعَ مالاً وعدَّدَه.. اتفقا على الزواج.. غمرتها فرحة.. وفي ليلة الدخلة، قُرع باب غرفتهما بعد أن دَخلاها بقليلٍ.. فتَح البابَ والحنق يأكل قلبَه.. رأى عجوزاً تلهث.. قالت: أخرُجْ ياولدي؛ إني قد أرضعتكما معاً!



أبناء العمومة

قال الملثّم: مضـارب أبنـاء عمّـي قاصيـة.. وبـالقرب من مضارب أهلـي كـان الغـزاة غربـي النهـر يـتربصون.. عيونهم تقدح الشرر وتتغرس في خيامنا.. أبناء عمّـي حلّـوا فـي ديارنـا.. سلّموا، ثـم يمّمـوا وجوههـم شـطر الجـانب الغربي.. وعادوا.. مرّوا مِنْ بين خيامنا، وما سلّموا.. وجاء في إثرهم أناسٌ حرثوا أرضَنا، واقتلعوا الخيام.

السيف والجراد

جـالَ السيفُ وَصـال.. حَطّـمَ إيـوانَ كسـرى، وجنْـدلَ عَرْشَ هرقل.. صدَّ المغولَ.. قاوَمَ التتار.. وقَـفَ فـي وجـه الفرنجة.. وظل السيفُ حادّاً لامعاً.

تناوَلَهُ الأحفادُ.. هَزّوهُ فـي وجـه الجـراد، فَنَبـا السيفُ وتَثَلّمَ، ثُمَّ اخْشَوْشَبَ.



بَسمَة

يمشي متلقتاً حوله.. يخاف من خياله.. يسير إلى جانب الجدار ويطلب من الله الستر.

ابتسم له شيخ العشيرة، فبالَ على الرؤوس.



عقوق

عجَن ترابَها بعَرقِه.. قتلوه فعانقتها دماؤه. وقبل أن يفارق الدنيا، تَرك لابنه كلماتٍ: وصيَّتُك الأرض.

هَجَرَ الأرضَ.. وبَعْدَ أعوام تنكَّرَ لعظام أبيه.



نجمة

وسط الظلام الدامس.. لمعت في السماء نجمة.. حاولوا إطفاءها فتوهَّجَت.. حطّموها فتشظّت نجوماً ملأت السماء، وهتكتْ حُجُبَ الليل.

عطر الأرض

إغماءةٌ كالموت حلّتْ به.. أحضروا له كلَّ المنعشات.. قَرّبوا من أنفه كلَّ أنواع العطور.. لكنه استغرق في إغمائه.

نزل المطر.. عانقتْ قطراتُه الثرى.. فاحتْ رائحةُ الأرض، فاستفاق.



هناك

من هناك جاءت حمامة.. حَطّت على شرفة الدار في أرض غربته.. احتضنها.. بكى وبكت.. اغتسلت بدموعه.. وقبل أن يطلع الصباح، طارت الحمامة فكانت هناك.



الجنّة

في خرِبَةٍ، دُورُها متداعيةُ الجدران؛ حبا.. وعندما بدأ يمشي، مشى إلى الضفة الأخرى.. أمضى العمر غريباً.. وجرى الحساب فكان يسيراً.. دخلَ الجنة، وفيها كل مايشتهي ويتمنّى.. فتمنى أن يرى خربتَه.

